



في قافلة الزمان

تأليف الأستاذ عبد الحميد جوده السحار

أما هيكل الرواية ففيه طرافة وتجديد . وتستطيع أن تلخصه في عبارة قصيرة ؛ فنقول إنه عبارة عن تاريخ حياة أسرة وأحفادها . فقد بدأت الرواية في التحدث عن الحاج أسعد وهو أبو الأسرة الأكبر ومن حوله ابناؤه الأربعة ولكل منهم زوجة وأطفال . ويظل هؤلاء جميعاً سقف واحد في البيت الكبير الذي يمتلكه الحاج أسعد . ثم تستطرد الرواية في استعراض حياة هذه الأسرة التي تنفرح وتنشعب وتنشأ بك شؤونها وتتمدد مشاكلها بازدياد أفرادها واتصال أعمالهم بأعمال الناس ، وبما يواجههم ما يواجهه الإنسان في خضم الحياة من مشاغل تستولي على عمره . فهنا بيع وهناك شراء ، وهنا زواج وهناك طلاق ، وهنا مرض وهناك موت ، وإلى آخر ما يتعلق بالحياة من أمور . وعلى الرغم من أن السيطرة على دفة رواية تعالج نفيات الناس وعاداتهم وتبسطها على خير الوجوه من العمومة بمكان ، فإن الأستاذ السحار أمسك بالدقة شأن الرمان الماهر ، وعالج حياة هذه الأسرة وما تفرعت منها من أمر بدقة وإتقان . حتى أن القارى ليخرج من الرواية وهو على أم ثقة أن المؤلف لم يفتعل حادثة من الحوادث ليصور إحدى الماديات ، وأن الرواية سارت في مجراها الطبيعي دون أن تتمتر بما في طريقها من سخور ومع أن الرواية ليست من ذلك النوع الذي يعنى المؤلف برسم مشكلة لها هي العقدة ؛ تتشابك الحوادث حولها وتتكاثر الشخصيات ، ومع أنها أيضاً لا تشتمل على حوادث غريبة مشوقة وإنما هي قطعة من الحياة مليئة بما يقع للمرء وما يشاهده في مجتمعه من الحوادث والماديات على مدار الأيام فإنها مع ذلك تجري في أسلوب لين شيق يأخذ بالاتباع القارى فيستغرق في نلوتها بلذة وإعجاب . وهذا ولا شك هو المقصود بنجاح الروائي وبراعته . بيد أن كثرة شخصيات الرواية لم يفسح للمؤلف مجالاً كي يرسمها جميعاً بالدقة المطلوبة - كما رسم شخصية مصطفى ونفيسة مثلاً - فجاءت صور قسم منها باهتة لا تتسم بميزات وملاحظات واضحة برغم أهميتها . ومن ذلك القسم جاءت شخصيات سليم وأسعد ومارى . ولعل ذلك يبدو بمسورة أوضح لو قارنا - على سبيل المثال - نجاح المؤلف في تحليل شخصية مصطفى بنجاحه في تحليل شخصية -إيم . مع العلم أن الشخصيتين تشككاً

لقد عرفنا الأستاذ عبد الحميد جوده السحار فيما أسدر من مؤلفات قاصداً مؤرخاً ، يكتب التاريخ بأسلوب قصصى شيق ويرسم لنا أبطاله رسوماً تنبض بالحياة . وقد أخرج لنا « بلال مؤذن الرسول » و « أبا ذر النفارى » و « سعد بن أبي وقاص » و « أبناء أبي بكر الصديق » وقال فيها قسطاً مرفوراً من النجاح وعالج الأوصوة الحديثة في كتابه « همزات الشياطين » لكن طابع السرعة وعدم الإتقان ، بدا واضحاً في معظم أقاصمه . ثم عالج نقد المجتمع والجهاز الحكومى بكتابة صور فكهة تصور مهابية في الكتاب الذى أسدره بعنوان « في الوظيفة » فكان نموذجاً عالياً في طرافة الأسلوب وروعة التهمك وجمال الأداء . ولكن الكتاب الذى نتحدث عنه الآن يملك سبيلاً آخر لنقد المجتمع وعاداته هو سبيل الرواية . فكتاب « في قافلة الزمان » إذن رواية طويلة انتزعت شخصياتها من صميم المجتمع المصرى . ولكي يدرك القارى ما بذل المؤلف من مجهود في تصور عادات عدة أجيال من أمته يبنى أن يعلم أنه بدأ الرواية في بداية القرن العشرين وانتهى بها في أواخر سنيه الحالية . أى أن الرواية سجل حياة مجتمع في نصف قرن . ولم يكن هذا السجل لحسن الحظ مشوشاً مرتبكاً ناقصاً المعلومات ، بل كان مرتباً منظماً يلم بالشاردة والواردة ، قد درسته يد كاتب ماهر رى إلى تقديمه بين يدي كل من يتوق إلى معرفة مجتمعه في فترة لم يكتب له فيها الوجود ، وبذلك يوفر عليه الاطلاع وإن لم يوفر له الوجود !.

فتجتاح المؤلف من هذه الجهة لا ريب فيه . إذ أنه وفق كل التوفيق في نقل ماديات الناس ، ورسمها بدقة وأمانة وإخلاص .

هذه العادات ، إلى غيرها من نظم المجتمع وما يتصل به ، حظيت من المؤلف بأكبر قسط من الاهتمام . ولذلك جاءت سادقة دقيقة تناسب في سلاسة وبساطة محببة . وبذلك حقق المؤلف هدفه الأول .

أما الهدف الثاني فهو على ما أعتقد دراسة شخصية مصطنع ، التي تمثل شخصية المؤلف . وقد نجح الكاتب في هذا الغرض أيضاً ، حتى أن القارئ يظن أنه عرف مصطنع هذا قبل أن يقرأ عنه في الرواية ، وهو قد عرفه في الحق ؛ ولكنه عرفه في خضم الحياة المليئة بأشخاص من طراز مصطنع . وقد أبدع المؤلف خاصة في تحليل حب مصطنع ومواطفة ، وعندى أنه إن لم يكن قد بلغ القمة فيه فقد قاربها .

وهناك بعض المؤاخذات على المؤلف أهمها كثرة أبطال روايته . صحيح أن مجال الرواية واسع ، وأنها تشمل الحياة بكلية ، ولكن هذا لا يمتنع أن تعالج نفوس الناس بأجمعهم ، بل علينا أن نقتفي منها ما يمثل منها مجموعة بينهم . وحيث أن المؤلف طالج في روايته أسرة معينة أفرعت منها أسر أخرى ، فإنه تدرى لجميع أفراد هذه الأسر .

ولكنني لا أتفق معه على طريقته هذه ، وأقل ما يقال عنها أنها توقع القارئ في الارتباك فلا يستطيع معرفة الشخصيات معرفة دقيقة وهي على تلك الكثرة . وبالإضافة إلى ما قد ينتج عنها من ارتباك ، غلبت دقت المؤلف إلى تسجيل بعض الحوادث التافهة التي لا تستحق أن يفرد لها مكان في رواية جيدة كروايته . وأبسط مثال على ذلك شخصيات أصدقاء سليم وأسماء التي لم يكن لها لزوم في الرواية إطلاقاً ، والتي تشر القارئ دوماً أنها كل على الرواية ، قد أفضحت فيها بضحكاً ، وهما حاول القارئ أن يتعرف على لون لها اسطدم بالحقيقة الواضحة وهي أنها عديمة اللون والطعم والرائحة !

وقد كاد المؤلف من الجهة الأخرى أن يشرك عنصر الفساد في الرواية ، لا لثب حثثة إلا لثباتها قد طالت . والظاهر أن ذلك الطول قد أتلق المؤلف ، لأنه عمد إلى استغلال قانون السرعة استغلالاً مضرراً بمصاحبة الرواية كل الضرر . ولعل القارئ يستطيع أن يلاحظ ذلك منذ بداية الصفحة الثلاثمائة .

في الأهمية والدور . حتماً إن الفرق يبدو شاسعاً بين النجحين . والواقع أن براعة المؤلف كما يتضح لي متجهة إلى غير تحسين يمكن القول أنهما شغلا نوعاً عن الأغراض الأخرى : الأول والأهم هو تصوير حالة المجتمع المصري في نصف القرن الأخير وتسجيل عاداته وتقاليده . وقد سبق لي أن ذكرت أن المؤلف توفيق في هذا كل التوفيق . فاستطاع أن يكون صورة في أذهاننا عن الزواج — مثلاً — في جميع مراحلها : كيف تم الخطبة ، ويمد « الجهاز » ويقدم « النيشان » ثم تقام الزفة التي يعقها بناء الخطيب بخطيبته .

ولكي أكون لدى القارئ فكرة عن دقة المؤلف في تصوير هذه العادات أورد الآن مقطعاً يتعلق بأحد مراحل الزواج الذي يسمى « النيشان » . فقد جاء في صفحة (٢٠٥) من الكتاب ما يلي :

[وخرجت أمينة وعصمت وسكينة لشراء « النيشان » وهو هدايا يقدمها الخطيب لخطيبته قبل الزفاف ، ويتكون « النيشان » عادة من حذاء فضي ، وقماش من القصب المنان ، وقفاز أبيض ، ومروحة كبيرة من ريش أبيض فاخر ، وطرحة بيضاء ، وحافظة بيضاء وجورب أبيض من الحرير العالي ، ويطلق على هذه الأشياء « العاقم الأبيض » وهو ما ترتديه العروس ليلة الزفاف . ويحتوي « النيشان » كذلك على شباشب حرارة وصفراء وخضراء وجوارب ومناديل وروائح وصابون ممسك ، وسندوق تواليت فاخر ، وأقشعة متعددة وثياب داخلية]

هذا عن الزواج ، وما يقال عن الزواج ، يقال عن كيفية علاج الناس للمرض والمقم واستفنائهم عن الأطباء بأولياء الله من أمثال سيدى البيدق ، وأولاد عنان ، وسيدى الشعراوي ، والسيدة نفيسة ، والمندورة . وهم شأن الأطباء ، لكل منهم اختصاصه : فسيدى البيدق يشق من الصداع ويؤزره المرضى بعد صلاة العصر ، وأولاد عنان يشقون المرضى المهزبل ، وسيدى الشعراوي يشق مرضى النفس والحسد ، ولا بد من زيارة ضريحة مريده في اليوم في الفجر وعند الغروب ، أما السيدة نفيسة فيؤزرها مرضى العيون ولم يحدد لزيارتها وقتاً . والمندورة تشق النساء من المقم .

أن يحشمك متاعب السفر ولا وعناء الطريق؛ فهذا هو ذا يستهل بحته بكلمة عامة من سورة - البقرة - ويملل طولها باشتغالها على تشريع الأحكام العملية. وقد بدأها الله ببيان فرق الناس بإزاء الاهتداء بالقرآن، وبين فيها البر وأحكام النقصان؛ والوصية. والصيام. والحج. والنفقة. والحرم. والميسر. والزواج والطلاق. والعدة. والإيلاء. والربا. والمدابنة، والتوثيق بالكتابة: والإشهاد؛ والرهن الخ، حتى إذا استوفى هذا البيان العام وأعطاك الصورة الإجمالية للسورة، انتقل بك من العام إلى الخاص، وقدم إليك سورة صحيحة دقيقة لفهم روح القرآن وبيان أسرارها. وعرض تفسير الربع الأول من سورة البقرة أبداع عرض؛ وعلى هذه السنة استبن عمله في آل عمران والنساء. فيا حبذا لو أخذ علمناؤنا يماجلون القرآن تحت هذا الضوء، ويقدمونه على هذا الأسلوب، أقرينا إذن الشقة بينه وبين الأذهان التي بدت بها ظروفها عن الدراسات الدينية؛ وظهرت آثاره قوية في أخلاقهم وأعمالهم وحياتهم. فحتى تنتفع بهذه الثروة التي تكفلت بسعادة العالم. متى!

محمد عبد الحليم أبو زبير

لإذ أنجبه المؤلف إلى رواية الحوادث بأسلوب بسيط ساذج لا تميزه إلا السرعة، وليس له أية علاقة بأسلوب الروائي الفنان، ثم ما تكاد تأتي النهاية حتى يصطدم القارئ بمحبة أخرى، تتمثل بغير الرواية. صحيح أن نهايتها موفقة، ولكن القارئ يشمر شعوراً أكيداً أن المؤلف لم يقل كل ما عنده، وأن عليه الاستمرار فيها لأنها لم تنته بعد.

وقبها عدا ذلك فإن الرواية على نصيب موفور من الروعة في فنها وأسلوبها وأغراضها.

شاكر محمد

(القاهرة)

من نور القرآن الكريم

تأليف الأستاذ الشيخ عبد الوهاب محمد

—><—

القرآن نوره الإنسانية الروحية؛ وذخيرتها التي نعتز بها في اجتماعها واقتصادها وسياستها وخلقتها؛ وهو موضع الحفاوة؛ وهدف الدراسة؛ ومثار النشاط العقلي بين ذوى القرائح المختلفة؛ غير أنه لم يبدل في البيئة الإسلامية كل ما يتطلبه في هذه الرحلة الفكرية الجديدة، كتجديد أهداف سورة؛ والمحور الذي تدور حوله. مما يعين على تمثل أغراضه؛ والنفاذ إلى مرامييه. وأمل أول محاولة يراها - النور - في هذا الميدان هي ما اضطلع بها الأستاذ الجليل في النهج الذي انتهجه في تفسير الربع الأول من سورة البقرة وآل عمران والنساء. وهذا النهج يتمثل في أنه يتبدى بكلمة عامة عن السورة يقدم فيها بين يدي - القارئ - العناصر الأساسية التي يتكون منها هيكل السورة؛ ويهيئ الجو الذي يظله من السورة بظلاله. وهذه خطوة لها أثرها القيم في فهم أسرار القرآن واستلهام روحه صافية غير مشوبة، حتى إذا وصل إلى الربع الذي هو بمدده أخذ بكشف لك عما يتناوله من أغراض. فإذا ما وضع تحت بمرك هذه الأصول فقد اجتاز بك المنطقة الشائكة؛ ثم يأخذ بعد ذلك بصور لك بأسلوبه الفكري وبقلمه البياني، المعنى العام للربيع. إذا بك تجدك وقد وصلت إلى أهدافك من أيسر السبل؛ دون

إعلان

توجد وظائف كتابية من الدرجة الثامنة خالية بمصلحة الطب الشرعي مطلوب يشغلها من حملة شهادتي الدراسة الثانوية القسمين الخاص والعام ودبلوم التجارة المتوسطة، فملي من يرغب في الالتحاق بإحدى هذه الوظائف أن يقدم طلباً على الاستمارة ١٦٧ ع. ح. باسم حضرة صاحب العزة وكيل وزارة العدل المساعد لشؤون الطب الشرعي، وإذا كان راغب الالتحاق مستخدماً بإحدى الوزارات أو الصالح الحكومية، فيجب أن يرسل الطلب عن طريق الجهة التابع لها مصحوباً برأبها في نقله. وذلك في ميعاد لا يتجاوز الأسبوع الأول من شهر أكتوبر ١٩٤٨ ٣١٦